فؤاد الساعة والأجل الثاني

احمد عمر

المصريون ظرفاء. ومنهم صديقي المصري حنفي الذي قال إنّ أشقَّ اللحظات في يومه وليله هي لحظة انبعاثه من النوم، اللحظة التي يوقظه إسرافيل الساعة السابعة صباحا، فيقول حنفي: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا .. وهذا يعني أنه يبغض المومياوات، ويكره فنَّ التحنيط. وتحنيط الأحياء أشدُّ من تحنيط الأموات.

سألته عن صوت مؤذن الساعة، فقال: هو جرس. فتحسَّرتُ. وكان مؤذن الساعة ديكاً في أيامنا القديمة، قبل أن يجمع العلماء، في علبة الهاتف الجوّال كل العلم وكل الجهل. المؤذّن في أفلام الكرتون ديك صغير أو عصفور. قلت مقترحاً: اجعل مؤذّن الساعة ديكا أو دجاجة، فهو أندى من صوت المعادن الصمّاء، فصمت، لأنه يريد أن ينام. قلت له: اجعل صوت مؤذن الساعة صوت حشرةٍ لطيفة، صوت صرصور، حفيف أوراق، صوت عندليب، صوت سقوط المطر على الأرض، لعله يكون لك أنهد وأنفر. وأخشى أن يكون خوفه من منبّه الساعة عضّة كلبٍ مسعور، فالمغموض يخاف صوت الماء، هو يُذعر من صوت نبض الساعة، ويلثُمها ويكمها. قال إن زميلته الألمانية في المصنع حسناء، لم ير مثلها في الحُسن حتى على الشاشة المصرية، ولا أحد يحفل بها؟

سألت: ما علاقة الجمال بالساعة، يا شاغبي؟ قال مصوّبا اسمه ومذهبه: حنفي يا عمّنا. وقال إنه سيزعل مني، لأني أجهل الأنساب والقرابات بين المعاني والأفكار، المرآة ساعة يا عمّنا. ... كنا نقيس أوقاتنا بالقمر، والمرآة قمر، ألم تسمع المطربة تبشّر أمها بأن القمر نزل على الأرض: «يا امه القمر ع الباب»، وما قال الشعراء في شبه المرأة بالقمر يُجمع في دواوين.

قال إنه يريد أن ينام ولا يريد أن يستيقظ، النهار يخسف القمر. سينام حزيناً، لأن زميلته جميلة، ولا أحد يحفل بجمالها، وأنه لا يشبع نوماً. الحياة في أوربا عمل ونوم، بينهما ساعتان لقضاء الحاجات، وساعتان للتواصل الاجتماعي، ولم يبق سوى فكّة الوقت لتصويب أعطال البيت والجسد.

سألني عن الربا، فقلت هو ربح من غير جهد، فقال لي: الأصل في الربا ليس الربح المادي، بل هو ربح الوقت. فالمرابي يسرق عمراً لا مالاً، وكنت ما أزال أفكّر في المرآة الساعة، وتذكّرت الساعة الرملية، فهي على شكل امرأة لها خصر أهيف. قال الشعراء العرب أشعاراً كثيرة تمدح البطن الأهيف والقدّ الأميد، ثم إن حنيلي وهو في الفراش قال: الأهرام ساعة أيضاً، ففكّرت، وتعجبت كيف يكون القبر ساعة، فقال: هو ساعةٌ حجريةٌ معطّلة، والفرعون طاغية عطّل ساعة شعبه، التحنيط معاندة للموت.

وذكّرني تسريبٌ للسيسي، قال فيه: الانقلاب عودة إلى الوراء أربعين سنة، وقال: ألا ترى الشعب المصري وهو يستغيث مثل الأطفال بالأب القائد، لا يصير الملك طاغية إلا إذا جعل شعبه أطفالاً. والأطفال هم أقلّ الناس شعوراً بالوقت والزمن. .. وكرّر قائلاً: الهرم هو أكبر ضريح في العالم، الهرم ساعة لا تدور. كنت ما أزال أفكر في لغز الهرم والساعة، قلت له: النوّوم صفة كريهة للرجال عند العرب، لكنها مستحبّة للجميلات. وقد تغزّل الشعراء العرب بنوّوم الضحى ومكسال الضحى، فقال إنه لن يذهب إلى العمل، حتى لا يرى الحسناوات يعملن في تلك الأعمال الشاقّة.

وجدت أنّ النوم انتحار حلال، فالنوم موتٌ أصغر. الفرق بين الموت والوفاة أنّ الموت يقع مرة واحدة بينما الوفاة تقع كل ليلة، الموت للروح والوفاة للنفس. قال: ألا ترى كيف رسم الأوائل عقرب الساعة على شكل يريد العقرب، بل منه اشتقوا اسمها، من الحشرة السامة؟

قلت: ألا ترى أنّ الأوائل جعلوا صوت منبّه الساعة صوت ديك، هل رأيت كيف تقتل الديكة والدجاج العقارب، إنها ما إن تجد عقرباً غازيا عاديا، حتى تثب عليه، فتقصّ ذنبه، هيا انهض وانشط والعب على أعصابي، قال: لست في سربي. لقد نكبنا بهزيمةٍ لم تحصل من قبل، الهزيمة نوم بالكوابيس، وقد وجدنا المنفى نعمةً وهو عقوبة، ونذبح للوقت من الوريد إلى الوريد.

في مصر ترى كل شيء يبدو سعيداً

عبد الحكيم حيدر

ما زالت مقبرة عبد الحليم حافظ محاطة بالعشّاق والدموع والورد، والمدافع هناك أيضا في الصحراء ملفوفة بالأعلام، وتطلق الطلقات من قبر الجندي المجهول، إرضاء للفلاحين والعمال والمهمشين وماسحي الأحذية، وكل من مات في الحروب فطيسا في القناة وحروب السلاطين، وإرضاء أيضا لنسبة العمال والفلاحين في البرلمان، بعدما امتلأ عن آخره بقطّاع الطرق ورجال الأعمال وصنّاع أدوات المكياج والسيراميك ودكاترة التحاليل والأشعة المقطعية، جنبا إلى جنب مع حديد عز وأبو هشيمة ومشاريع الجيش ودعوات ساويرس وزيبة أشرف السعد.

في مصر، يمكنك أن تأكل رغيفا بالفول جنيهين فقط لا غير، وتشرب الشاي وتتكرع على المقهى في الحسين كما قال «أبو شقة، أو شقتين»، بعدما شقّ حزب الوفد إلى شقتين وصالة، تحت عين الأمن السهران على حماية البواخر والموانئ.

في مصر التي تبدو سعيدة دائما ممكن أيضا أن تبيع كليتك على المقهى نفسك، وتشتري بثمنها تلفوزين، لك ولزوجتك، وشاشتين في عشة في أرمنت، وتربي أيضا كلبين، بعدما خلت البلاد من السياحة، وتولى الجيش تربية الجمبري للفقراء، بعدما ملّوا الأسماك.

في مصر ترى كل شيء جميلا، فالقطارات في مواعيدها، بعدما أشارت إليهم حكمة الرئاسة بوضع العشرة مليارات جنيه في بنك سويسيري يعطي فائدة بالضعف. وتراكمت الفوائد بالطنان في البنوك، فاشترت الحكومة قطاراً للفقراء بـ260 مليارا، كي يذهب العمّال والفلاحون إلى الصحراء للبناء والتعمير، ويسعون إلى اكتشاف الذهب والمنجنيز والرصاص في الصحراء الغربية والشرقية، وبالمرّة يزرعون الأربعة ملايين نخلة، والأربعة ملايين فدان قمح، بجوار المفاعل النووي في الضبعة للأمور السلمية.

في مصر، ترى كل شيء جميلا، ابتداء من طوابير الصباح على مكاتب البريد لنيل «الـ500 جنيه»، والحليب والورد والكمامات وبطاطين القوات المسلحة وفرص العمل في العاصمة الإدارية مع الشقق الرخيصة جدا، وتتناسب مع وضع الشباب الذي يريد أن يبدأ حياته بالعرق والدموع والكفاح، بعيدا عن التطرّف والإرهاب وبرامج ساعة لقلبك ومحمود شكوكو وأماني الخياط ونشوى الحوفي عن الدماء، التي خرجت من المصاحف من قرون، حتى ملأت قناة السويس القديمة بالجثث، فملأنا القناة الجديدة بالدولارات والجمبري، بعدما صاروا بددا، وزادت المياه في نهر النيل، فغطت الصحراء، وفيصل والهرم، على الرغم من كيد أهل الشر، فمصر محمية من الله والمجلس البلدي، ولم يخلق الله على الأرض سواها، على الرغم من كيد أهل الشر وكوارهي الجمبري.

في مصر ترى كل شيء جميلا، ابتداء من النقابات الفنية والموسيقية والإعلامية والصحافية وشؤون الكتابة القصصية والروائية والمسرحية والسينمائية، والجوائز تُرمى كالأعلاف تحت أقدام الجميع في الجونة والأوبرا والمسرح التجريبي، فماذا يريد منا أهل الشر بعد ذلك؟ كل شيء هنا يبدو جميلا. خصوصا من شرفات الفنادق على النيل، وهي مرصوصة بمقياسه القديم، والمصري يخط على أوراق البردى حكمة وترتيلاته من آلاف السنين، ووسيم السيسي يفلسف الحكمة ويشرحها لخدمة الإله رع الذي أشرقت أنواره على مياه النيل، بعد الاتفاقية، فزادت غلال مصر، حتى أنها ستكفي الإمبراطوريات الوليدة في المشرق والمغرب و«إسرائيل»، إن شاء الله.

في مصر كل شيء في غاية السعادة، فكل استوديوهات التصوير عامرة بالبركات والألحان والتمرات وفوانيس رمضان، استعدادا لمسلسلات الشهر الفضيل بالزبيب والياميش وشركات الإنتاج والملايين. كي تقهر الإرهاب في عقر داره من قلب الاستوديو، وتصير سيناء خضراء عامرة بالزيتون والنخيل، وفدادين «صاحب قناة المحور» المليئة بالورد والنحل والنخيل والجامعات والعمال وآيات الذكر الحكيم، والمخابرات أيضا، وهذه بالطبع صدقة جارية من حرّ مال الشيخ أو ضابط المخابرات، دكتور حسن راتب. ومن يريد أن يرى بأم عينيه يجب أن يعيش بجوارنا، ويشرب معنا الشاي في العطّارين أو بولاق أبو العلا. ومن لا يريد أن يرى إنجازاتنا عليه أن يشرب من أقرب خرّارة انكسرت ماسورتها حديثا، أو «يدينا عرض اكتافه ويشوف له بلد تاني».

تعالوا نجرّب اليأس

دلال البزري

للأمل سبعة ممتازة. من خصال «الإيجابيين» من بيننا، الذين يرون في كل المصائب جانباً مشرقاً، أو درساً مفيداً، وما على البشرية إلا التقاطه، بذاك الإجماع عليه، يكاد الأمل يشبه العقيدة المُطيفة باللغة الحالية، هو «الصواب السياسي» بعينه. المفكرون والفلاسفة مجْمعون عليه، وكذلك المراقبون والمعلّقون والمحلّلون، بعضهم يعتبر نقيضه، أي اليأس، حماقةً صافية، خصوصاً إذا كان يأساً سياسياً. وبعد الفلاسفة والمفكرين، يحظى الأمل بحب الجمهور، الذي يأنس لأية بادرة أمل، أية بارقة. وسط تدافع أسباب اليأس.

اليأس الواقعي، تلك المادة اللّزجة الملتصقة بأجسامنا، المصهورة بتفاصيل جهنمية، والأمل في وسطها، أو على جوانبها، مثل إبرة المخدّر. تمنحك القدرة على الاستمرار على قيد حياة نباتية، موصولاً بالباريش، ولكنها إبرة ضرورية، ولذيذة أحياناً. تفتّح خيالك قليلاً نحو المستقبل، بعدما أحكم اليأس إغلاقه، ولكن بعد حين يدوم دقائق، تعود صهارة اليأس، فتفرض نفسها. هكذا، في دورةٍ شبه يومية، بطيئة، سريعة. وفي كل الحالات مدوّخة: الأمل فيها نادرٌ في الحقيقة، ولكنه مشتَحَسن، فائض في اللسان، فبين الدورة والأخرى يتسلّل من خيبات الأمل، تراكمت أحجاره فوق بعضها سنوات، وعلى أنقاض الأمل، نقطة قوة عقلية للأمل. ربما الوحيدة: أنه يعزّز اليقين، أي تأكّد المرء مما يفكر به، ما يغرقه في هناء الاطمئنان والراحة، يتفوّقان على التكاسل. وهذا مَيْل طبيعي، تجده عند كل المخلوقات. هذه الحاجة إلى اليقين هي أيضا سياج نفسي، يتحصّن خلفه المرء من الجنون، أو الضياع، أو اليأس.

اليأس تجديداً. صاحب السمعة السيئة، الذي يهزّ اليقين، ويعرّض السياج النفسي للاختراق، فيكون اضطراباً لا تتحمّله كل الأنفس، خصوصاً تلك التي تتمتع بيقينيات مدعّمة من بيئتها، أو بمصالح تدعمها اليقينيات. اليأس المطلوب هنا مرادف للقلق والفضول، والاستعداد لتحمّل أخطار الحقائق العارية، أي أن اليأس يحتاج إلى طاقة مضاعفة عن تلك التي يتوسّلها الأمل. إلى حركة للعقل والمخيّلة. هذا اليأس ممتلئ بالطاقة. ليست تلك الطاقة المفتعلة، المسطحة، التي تقتصر الثها على تشغيل اللسان، أو النبش في قبور اليائسين عن أحكام وأقوال ترفع من قيمة اليأس، إنما طاقة داخلية، تنشحذ من نفسها القدرة على تحمّل أهوال اليأس ومتاهاته، لأن اللايقين هو حافز اليأس ومحرّكه.

وبين اليائسين يتوزع قانون الطبائع نفسه المطبّق على أصحاب الأمل. بعضهم يفصل بين المسائل العامة السياسية ومسائله الخاصة الشخصية. لا يترك نافذة للتجهّم في الخاص، هو تعيس سياسياً، ولكنه سعيد شخصياً. وهذا أكثر النماذج قدرةً على تكبّد اليأس السياسي، وحماية سنواته من السواد، فيما ترك الآخرون اليأس السياسي يتسلّل الى داخل بيوتهم، فكان أكثر تعاسة من الجميع، مع أنه يمكنه أن يتفوق بيأسه على غيره، ويبدع فيه. اليأس الذي أقصده إذن: متحرّر من فعل «يجب»، أو «ينبغي»، أو ما يشبههما من أفعال. ولكن الخطورة في التحرّر هذا تكمن في تعريض صاحبه لانفلات أطر تفكيره، من دون أن تكون تكوّنت لديه أطر بديلة. وإذا تكوّنت، فبسرعة. وعليه ساعتها أن يهضمها، أن يستوعبها. ولذلك، سوف يكون لفعل «يجب» حضور قليل في هذه العملية، خصوصاً في بداياتها. وبعد أن يكون التشرّد خارج الأطر قد بلغ مرحلة الفوضى. فيكون الفرز بين نوعين من فعل «يجب»: الفعل الذي بناه غيرك، وفرض عليك أطروحاته كافة. والفعل الذي تنْبنيه أنت. بديلك. أو بوهم أنها من بديلك، حتى إثبات العكس، على أن يكون يأسا هادئاً. لا ارتعاشات الغضب ترافقه، ولا بكاء مستمر وتوسل للسماء، وجلوس على الكنَبة.

وهذه الدعوة إلى اليأس ليست أبدية مؤبدة، إنها إجرائية. أي أنها صالحة للاستخدام العقلي فترة، تجريبية. قد تدوم لحظات، عندما تلتمع في الذهن وَضَحة، تدوم بدوام الشُهُب. وقد تمتد العمر كله، فتتحول إلى يقين: يقين اليأس. وهذه خطورة إدمان اليأس. ولكن عندما يؤخذ اليأس كتجربة في التفكير، فهو يضاهي المنهجيات. ومن دون ضجيج

> دعوة إلى اليأس ليست أبدية مؤبدة. إنها إجرائية. أي صالحة للاستخدام العقلي فترة، تجريبية

الأمل وأناشيده. قد يصل صاحبه إلى وصف لسياسة يختلف عما هو قائم، والمستند دائماً إلى أمل ما، مقبول، بشروط قليلة، أملاً بالأمل.

ما هو الهدف من هذه التجربة؟ إعادة التفكير بمعنى الأمل. ما هو الأمل الذي يبحث عنه اليأس؟ وهل يمكن بالأصل أن يولد الأمل بعد اليأس؟ لا اليأس السطحي الذي يقوله الجميع، من دون أن ينتبهوا إلى رداءة الأمل الذي يتلقّفونه ويكرّمونه. ولكن كيف؟ كيف يولّد اليأس أملاً؟ بأن ينتظر إيران وأميركا. وقد يستمر هذا التجميد أشهراً، وربما سنوات. أما إذا تشكّلت الحكومة، وبالمواصفات الضرورية، الفرنسية – السعودية – الإيرانية -الأميركية – الروسية – التركية - الإسرائيلية. فماذا سيكون بمقدورها أن تفعل تجاه الانهيار العام؟ لا شيء، طبعاً. إلا في الانتظار: بأن تُحَلّ بين الأقوياء من أصحاب الأدوار، بحرب أو باتفاق.

ما نفع اليأس هنا؟ أنه يخرجك من دائرة مغلقة قوامها: «بارقة أمل» ثم يأس. ثم «بارقة أمل»، ثم يأس .. إلى أن تبلغ عمر الأسلاف. وهذا هدرٌ للوقت والمزاج والمستقبل. إذن، ضع كل هذه المناجاة جانباً وانسف أمنياتك وسياق حياتك، وأفكارك المشبعة حول كذا أو كيت من المسائل. وانظر حولك بعين القريب/البعيد: ما هي مقومات اليأس ومقوّمات الأمل؟ افرزها، تلك المقومات، واحد، اثنان، ثلاثة .. وقارن بينهما، من حيث الدقة والعمق والوضوح. وسوف تلاحظ أن اليأس أوثق من الأمل عقلياً.

وعكس ما يصوّر عن اليائسين: أنهم ذاهبون إلى القعود والسلبية والعبوس. وربما، في النهاية، للعمليات الانتحارية، السياسية أو الأمنية. أو«داعش» أو «القاعدة» .. إلخ. هؤلاء يصنّفون في خانة المحبَطين. لا اليائسين. والفرق بين المُحبَط واليائس كبير: الأول قاعد والثاني ناهض. الأول عبئي والثاني منطقي. الأول هادم والثاني بنّاء، يتعثر الآن. الأول كان عنده أمل، فخاب وأحبط. والثاني لم يخب لأنه كان يدرك أن الأمل كان كاذباً.

(كاتبة لبنانية)

المتغيرات الدولية ومعركة مأرب

بشرى المقطري

> أفضت المواقف الدولية أخيراً إلى تصعيد العمليات القتالية على نحو غير مسبوق، ما ضاعَف الأزمة الإنسانية

تدفع أطراف الصراع المحلية والإقليمية بثقلها العسكري، لخوض معارك مفصلية في أكثر من جبهة يمنية، وذلك تحت ضغط الحراك الدبلوماسي الدولي الذي تشهده بعض عواصم الإقليم، والذي قد يفضي إلى تقاربات سياسية إقليمية - دولية بشأن الأزمة اليمنية، وإنتاج حلول بمقتضى الوضع العسكري القائم، إذ تركزت العمليات القتالية، خلال الأسابيع الأخيرة، في جبهات مدينة مأرب التي تعدّ معركة استراتيجية لجماعة الحوثي، ووجودية بالنسبة إلى السلطة الشرعية، لكونها آخر معاقلها في شمال الشمال، حيث تجري معارك طاحنة بين المتقاتلين، أدت إلى مقتل مئات من الجنود والمليشيات ورجال القبائل، وإلى تفاقم الأزمة الإنسانية في المدينة، وتهديد حياة المواطنين، بما في ذلك تنامي موجات النزوح. كذلك تصاعد القتال في جبهات مدينة الحديدة، ودخل الطيران في المواجهات، وإنْ لم تكن سوى جبهة لتخفيف الضغط عن مدينة مأرب، فضلاً عن تكثيف جماعة الحوثي، المدعومة من إيران، هجماتها على المنشآت السعودية، التي استهدفت مواقع حيوية، ومطار أبها الدولي أخيراً. وفيما تهدف أطراف الصراع الإلى استباق أي تحريك جدّي للمسار السياسي بتحسين مواقعها العسكرية، ومن ثم تحسين شروطها التفاوضية، ألقت المتغيرات الدولية حيال الحرب في اليمن بظلالها على موازين القوى العسكرية في مناطق المواجهات، بما في ذلك تصعيد التنافسات بين القوى المحلية.

ارتبط سير المعارك العسكرية على الأرض، وبالتالي تصعيد وتيرتها، بالمتغيرات الدولية والإقليمية حيال الحرب في اليمن. فقد أفضت المواقف الدولية أخيراً إلى تصعيد العمليات القتالية على نحو غير مسبوق، ما ضاعف الأزمة الإنسانية للمواطنين في مناطق المواجهات. وفي حين أدّى فكّ الارتباط بين أميركا وحليفها السعودي في عملياتها في اليمن، والحليب والورد والكمامات وبطاطين القوات المسلحة وفرص العمل في العاصمة الإدارية مع الشقق الرخيصة جدا، وتتناسب مع وضع الشباب الذي يريد أن يبدأ حياته بالعرق والدموع والكفاح، بعيدا عن التطرّف والإرهاب وبرامج ساعة لقلبك ومحمود شكوكو وأماني الخياط ونشوى الحوفي عن الدماء، التي خرجت من المصاحف من قرون، حتى ملأت قناة السويس القديمة بالجثث، فملأنا القناة الجديدة بالدولارات والجمبري، بعدما صاروا بددا، وزادت المياه في نهر النيل، فغطت الصحراء، وفيصل والهرم، على الرغم من كيد أهل الشر، فمصر محمية من الله والمجلس البلدي، ولم يخلق الله على الأرض سواها، على الرغم من كيد أهل الشر وكوارهي الجمبري.

في مصر ترى كل شيء، جميلا، ابتداء من النقابات الفنية والموسيقية والإعلامية والصحافية وشؤون الكتابة القصصية والروائية والمسرحية والسينمائية، والجوائز تُرمى كالأعلاف تحت أقدام الجميع في الجونة والأوبرا والمسرح التجريبي، فماذا يريد منا أهل الشر بعد ذلك؟ كل شيء هنا يبدو جميلا، خصوصا من شرفات الفنادق على النيل، وهي مرصوصة بمقياسه القديم، والمصري يخط على أوراق البردى حكمة وترتيلاته من آلاف السنين، ووسيم السيسي يفلسف الحكمة ويشرحها لخدمة الإله رع الذي أشرقت أنواره على مياه النيل، بعد الاتفاقية، فزادت غلال مصر، حتى أنها ستكفي الإمبراطوريات الوليدة في المشرق والمغرب و«إسرائيل»، إن شاء الله.

في مصر كل شيء في غاية السعادة، فكل استوديوهات التصوير عامرة بالبركات والألحان والتمرات وفوانيس رمضان، استعدادا لمسلسلات الشهر الفضيل بالزبيب والياميش وشركات الإنتاج والملايين. كي تقهر الإرهاب في عقر داره من قلب الاستوديو، وتصير سيناء خضراء عامرة بالزيتون والنخيل، وفدادين «صاحب قناة المحور» المليئة بالورد والنحل والنخيل والجامعات والعمال وآيات الذكر الحكيم، والمخابرات أيضا، وهذه بالطبع صدقة جارية من حرّ مال الشيخ أو ضابط المخابرات، دكتور حسن راتب. ومن يريد أن يرى بأم عينيه يجب أن يعيش بجوارنا، ويشرب معنا الشاي في العطّارين أو بولاق أبو العلا. ومن لا يريد أن يرى إنجازاتنا عليه أن يشرب من أقرب خرّارة انكسرت ماسورتها حديثا، أو «يدينا عرض اكتافه ويشوف له بلد تاني».

ليبيا والانتصار الثاني

ياسر ابو هلالة

تجسّد ثورة فبراير عظمة الشعب الليبي الذي تمكّن من إطاحة الديكتاتور الفضوي، معمر القذافي، فخلافا للثورات العربية «إسقاط النظام» رفع الليبيون شعار «بناء النظام»، فخلال أربعة عقود من حكمه المرير، تمكّن العقيد معمر القذافي من تدمير البلد الثري قليل السكان، وتفكيك بنيانه الاقتصادي والسياسي، ولم يعد في البلد لا شركة قادرة على الاستثمار، ولا حزب قادر على المنافسة، ولا حتى جيش قادر على الانقلاب. في ذكرى فبراير هذا العام، يحتفل الليبيون بشكل مختلف، فقد حققوا انتصارهم الثاني، والذي لا يقل أهمية عن انتصارهم على القذافي. انتصروا على الثورة المضادة التي يقودها مجرم الحرب، خليفة حفتر. وهزموا مشروعه المسنود دوليا وإقليميا ومحليا. لم تكن هزيمة حفتر الذي وصل إلى أطراف طرابلس، وكاد يدخلها سهلة، لقد بذلت دماء غالية، سواء من المدنيين أم الثوار العسكريين، وحتى مقاتليه المغرّر بهم، فكل دم أريق هو خسارة لا تعوّض لليبيا.

يظل الحل السياسي، وهو ليس مثاليا، وقد يفشل، وملء بالثغرات، وغير ذلك من المآخذ عليه، أفضل من الحل العسكري، نجح ثوار فبراير في صدّ العدوان وحماية عاصمة الدولة وإفشال الحل العسكري، لكنهم لا يستطيعون استكمال انتصار عسكري على الشرق، فمجرم الحرب ركّب انقلابه على انقسام جغرافي قبلي حقيقي، واستقطاب سياسي محلي مرتبط بمشروع دولي. هزم مشروع الثورة المضادة عسكريا، وعاد حفتر جنرالا معزولا معروضا للبيع، لا يشتريه أحد. وعاد الحراك السياسي بين الفرقاء، وبنيت آلية عمل سياسية قادرة على بناء الجسور بين الأطراف المختلفة. ولعل في انتخاب رئيس المجلس ورئيس الحكومة وفق آليه مقبولة للجميع نموذجا يُبنى عليه. صحيح أن من فازوا لا يملكون قاعدة شعبية قوية وحضورا مسلحا، ولعب المال السياسي دورا في فوزهم. إلا أن ذلك قد يكون ميزة لهم، وكلاهما من خط ثورة فبراير، ويرفضان مشروع الثورة المضادة.

القائمة التي فازت (عبد الحميد الدبيبة ومحمد المنفي) تمثل الحمائم مقابل قائمة الصقور (عقيلة صالح وفتحي باشاغا)، وتبدو قوتها في ضعفها، سواء النفوذ الداخلي على الأرض أم الإسناد الخارجي، فقائمة الصقور التي توقعت الأكثرية فوزها تمثل توافقا بين الشرق والغرب، وبين مصر وتركيا على السواء. ومجرّد تشكيل القائمة عكس نقلة نوعية في التوافق من خلال صناديق الاقتراع، بدلا من القتال عبر صناديق الذخيرة.

في النهاية فازت قائمة الحمائم «منزوعة الدسم» على رأي خبراء في الشأن الليبي، وقوتها في ضعفها، وكما تخلو من الحفترين تخلو من الإسلاميين الذين يُحسب عليهم وزير الداخلية فتحي باشاغا، وهو ما أراح الإمارات الداعم الإساسي للحرب.

على ضعفه، كان محمد المنفي الزعيم الوحيد الذي يأتيه «المشير حفتر» إلى مقر إقامته في بنغازي، وهو الذي ظلّ يأتيه الجميع إلى مقر إقامته في الرجمة، وهو ما يعكس خوف الجنرال من عزلة سياسية في حال عدم الاعتراف بالتغيير الذي حصل. وفي تجربة رفيق الحريري في لبنان حجّة يمكن المقارعة بها، فهو اعتمد على نجاحه رجل أعمال لا علاقة له بالليبشيات، وحظي بإسناد دولي وإقليمي ومحلي، وتمكّن من تجميع فرقاء الحرب الأهلية. وعلى قسوة الحرب الأهلية التي شهدتها ليبيا لا تقارن بما شهده لبنان. والمؤكد أن الحروب الأهلية قد تبدأ بجهد محلي، لكنها لا تستمر من دون دعم إقليمي ودولي. هزم الديكتاتور الثاني في العقد الثاني لثورة فبراير، لكن طريق بناء الدولة لا تزال طويلة، وقد تحقق الشرط الأول من خلال وضع السلاح جانبا. بقي أن يجتمع مجلس النواب بشقيه، ووضع خريطة طريق للانتخابات قبل نهاية العام. والمطمئن لا يوجد فريق يملك الأكثرية، وأكذوبة هيمنة الإسلاميين انكشفت في الانتخابات الماضية أصلا، وانكشفت في انتخابات القوائم أخيرا. المؤكد أن الذي يريد أن يهيمن بقوة السلاح، وبشلال دم لا يتوقف، هو مجرم الحرب حفتر الذي يجسّد رواية ماركيز «الجنرال في متاهته» في الرجمة.

كاريكاتير **عماد حجاج**

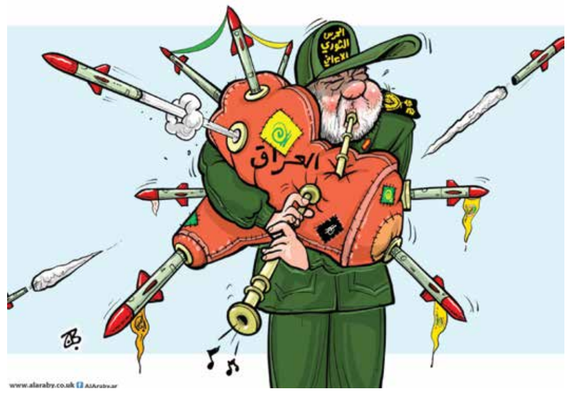

هل أصبح بقاء الأسد هدفاً أميركياً؟

غازي دحمان

يتضح، يوماً بعد آخر، أن إدارة الرئيس الأميركي، جو بايدن، لن تذهب إلى صناعة ديناميكيات جديدة لتغيير الوضع السوري، على ما اعتقد بعضهم، بل لن يجل ما قد تفعله هذه الإدارة، ومن خلال ما يجري تسريبه، بين الفينة والأخرى، لا يتعدّى ضبْ بعض الوقود لضمان استمرار تشغيل الديناميكيات القائمة، فالإدارة الغارقة، حتى أذنيها، في إعادة ترميم مكانة أميركا العالمية، لن يكون لديها الوقت الكافي للاهتمام بساحةٍ هامشية مثل سورية. وقد كشف خطاب بايدن، بشأن السياسة الخارجية الأميركية في المرحلة المقبلة، جزءا من مشهد السياسة الأميركية المقبلة تجاه سورية، حيث لم يرد في الخطاب أي إشارة إلى سورية، على الرغم من أن الملف السوري يقع في صلب السياسة التقليدية للحزب الديمقراطي، والتي تقوم على إعطاء حقوق الإنسان أهمية في رسم سياسات الإدارة الأميركية الخارجية، إلا أن إدارة بايدن يبدو أنها ليست في حاجة للاتكاء على هذا الملف لإثبات أصالتها، ما دام الأمر سيتبعه تكاليف واستحقاقات غير مستعدة للقيام بها.

التفسير المنطقي لذلك أن سورية ليست على قائمة أولويات إدارة بايدن في المرحلة المقبلة. وفي أحسن الأحوال، ربما تخضع السياسة الأميركية في سورية لتقييم من بعض موظفي إدارة الشرق الأوسط في الخارجية الأميركية، وقد يتولى الأمر موظفون من الدرجة الثانية، أقل من سفير، بهدف تدريبهم على مهارات إدارة الأزمات. ولأن الأزمة السورية، في التصنيف الأميركي، أصبحت شبه أزمة، فلن يكون ملحّاً إنجاز التقييم في وقت سريع، كما أنه ليس مهماً أن يكون هذا التقييم احترافياً، وأن تكون توصياته ملحّة والزامية. ومعها إمكاناتها، أو إمكانات أصحابها، طارحيها، بأن تتحقق. والأمل الذي يولّده هذا اليأس هو بالضرورة طويل المدى، فإذا استطاع المرء أن ينسجم مع نفسه، ويسقط الآمال الكاذبة عن عرشها.. فهو لن يعتمد المؤشرات الراهنة، القريبة منه، إلا بالحدّ اليسير. بل على ما في وسع خياله أن يبلغه من تصوّر لوقائع أخرى، لقيم أخرى، تختلف عن التي ازدهرت في عصر اليأس الحقيقي والأمل الكاذب. قد يُنبذ اليائس من الجموع، صانعي الإعلام ومستهلكيهم. وقد تختلف طرُقه عن طرُق نظرائه من اليائسين أيضاً. ويبقى وحيداً. المسائل. وانظر حولك بعين القريب/البعيد: ما هي مقومات اليأس ومقوّمات الأمل؟ افرزها، تلك المقومات. واحد، اثنان، ثلاثة .. وقارن بينهما، من حيث الدقة والعمق والوضوح. وسوف تلاحظ أن اليأس أوثق من الأمل عقلياً.

وعكس ما يصوّر عن اليائسين: أنهم ذاهبون إلى القعود والسلبية والعبوس. وربما، في النهاية، للعمليات الانتحارية، السياسية أو الأمنية. أو«داعش» أو «القاعدة» .. إلخ. هؤلاء يصنّفون في خانة المحبَطين. لا اليائسين. والفرق بين المُحبَط واليائس كبير: الأول قاعد والثاني ناهض. الأول عبئي والثاني منطقي. الأول هادم والثاني بنّاء، يتعثر الآن. الأول كان عنده أمل، فخاب وأحبط. والثاني لم يخب لأنه كان يدرك أن الأمل كان كاذباً.

(كاتبة لبنانية)

> دعوة إلى اليأس ليست أبدية مؤبدة. إنها إجرائية. أي صالحة للاستخدام العقلي فترة، تجريبية

الأمل وأناشيده. قد يصل صاحبه إلى وصف لسياسة يختلف عما هو قائم، والمستند دائماً إلى أمل ما، مقبول، بشروط قليلة، أملاً بالأمل.

ما هو الهدف من هذه التجربة؟ إعادة التفكير بمعنى الأمل. ما هو الأمل الذي يبحث عنه اليأس؟ وهل يمكن بالأصل أن يولد الأمل بعد اليأس؟ لا اليأس السطحي الذي يقوله الجميع، من دون أن ينتبهوا إلى رداءة الأمل الذي يتلقّفونه ويكرّمونه. ولكن كيف؟ كيف يولّد اليأس أملاً؟ بأن ينتظر إيران وأميركا. وقد يستمر هذا التجميد أشهراً، وربما سنوات. أما إذا تشكّلت الحكومة، وبالمواصفات الضرورية، الفرنسية – السعودية – الإيرانية -الأميركية – الروسية – التركية - الإسرائيلية. فماذا سيكون بمقدورها أن تفعل تجاه الانهيار العام؟ لا شيء، طبعاً. إلا في الانتظار: بأن تُحَلّ بين الأقوياء من أصحاب الأدوار، بحرب أو باتفاق.

ما نفع اليأس هنا؟ أنه يخرجك من دائرة مغلقة قوامها: «بارقة أمل» ثم يأس. ثم «بارقة أمل»، ثم يأس .. إلى أن تبلغ عمر الأسلاف. وهذا هدرٌ للوقت والمزاج والمستقبل. إذن، ضع كل هذه المناجاة جانباً وانسف أمنياتك وسياق حياتك، وأفكارك المشبعة حول كذا أو كيت من المسائل. وانظر حولك بعين القريب/البعيد: ما هي مقومات اليأس ومقوّمات الأمل؟ افرزها، تلك المقومات. واحد، اثنان، ثلاثة .. وقارن بينهما، من حيث الدقة والعمق والوضوح. وسوف تلاحظ أن اليأس أوثق من الأمل عقلياً.

وعكس ما يصوّر عن اليائسين: أنهم ذاهبون إلى القعود والسلبية والعبوس. وربما، في النهاية، للعمليات الانتحارية، السياسية أو الأمنية. أو«داعش» أو «القاعدة» .. إلخ. هؤلاء يصنّفون في خانة المحبَطين. لا اليائسين. والفرق بين المُحبَط واليائس كبير: الأول قاعد والثاني ناهض. الأول عبئي والثاني منطقي. الأول هادم والثاني بنّاء، يتعثر الآن. الأول كان عنده أمل، فخاب وأحبط. والثاني لم يخب لأنه كان يدرك أن الأمل كان كاذباً.

(كاتبة لبنانية)

إلى أين تسير الأزمة اليمنية؟

محمد احمد بنّيس

تراوح الأزمة اليمنية مكانها، على الرغم مما حمله موقف الإدارة الأميركية الجديدة بشأن وقف كل أشكال الدعم للحرب في اليمن. وفي وقت كان يُتوقع أن يشكل هذا القرار خطوة نحو توافق إقليمي ودولي على وقف هذه الحرب، تختلط الأوراق مجدّدا بعد احتدام المواجهات في مأرب بين الحوثيين والجيش اليمني، وتزايد الهجمات التي يشنّها الحوثيون على مطاراتٍ أبها وجدة السعوديين. هذا التصعيد يفسّر بسعي الحوثيين، ومن خلفهم إيران، نحو تحقيق تقدّم ميداني، يكون ورقة ضغط في أي تسوية إقليمية، وهي التسوية التي لا تتحمّل خريطة النفوذ والقوة في المنطقة أن تنفصل فيها الأزمة اليمنية عن الملف النووي الإيراني.

هذا الوضع يدفع الأزمة إلى مزيد من التعقيدين، الميداني والسياسي، فالتحول الذي طرأ على السياسة الأميركية بشأن الحرب في اليمن ينطوي على غير قليل من التناقض، بحيث يعكس حرص إدارة الرئيس بايدن على الإمساك بخيوط هذه الأزمة، مع سعيها، في الوقت ذاته، نحو حل المشكلة النووية الإيرانية بأقل التكاليف الممكنة. ومن ثمّ، يتوازى وقفُ دعم واشنطن الحرب في اليمن مع رفع جماعة الحوثي من قائمة الإرهاب، والاستمرار في الدعم العسكري للسعودية في مواجهة خصومها في الإقليم، وفي مقدمتهم جماعة الحوثي التي تدعمها إيران باعتبارها فاعلا رئيسا في المشهد اليمني. ويغذّي هذا التناقض الفجوة بين ما تسوقه القوى الإقليمية والدولية الفاعلة في هذا المشهد بشأن إعادة الشرعية التي تمثلها حكومة الرئيس عبد ربه هادي وإنهاء معاناة اليمنيين،

كوابيس وأحلام

كمال عبد اللطيف

يواجه العرب اليوم منحدراتٍ من دون قرار، ومن دون أفق سياسي واضح، ويقف أغلبهم فوق أرضٍ تتمايل وسماء لا أعمدة لها، تغشاهم غيبوبة في اليقظة ويُغَيِّبُهُم النوم ليلاً .. تمتلئ حياتهم بالبكاء والانقباض والمواويل الحزينة، وتنتابهم أحياناً لحظاتٌ من الضحك الهستيري. يُبَسْمِلُون كثيراً، ويتمثلون بقناعة وزهو قيم التواكل والخنوع، ويحلم أغلبهم بزينة الحياة ومفاتنها. تضاعفت متاعبهم في الأشهر الأخيرة، بسبب تفشّي وباء كورونا ومتطلبات الحجر الصحي وتفاقم البطالة. انتشر بينهم الخوف وعَمَّ البلاء. تحوَّل العرب، حكاماً ونخباً، إلى دراويش، تَقَلَّصَت قدراتهم في الفهم والعمل، وضُمُرَت أجنحتهم وجفّت ينابيع الخيال. أما العقل فقد اختفى من محيطهم، منذ أصبح بإمكان حكامهم أن يبسطوا نفوذهم وآليات ضبطهم وقهرهم على شعوبٍ مغلوبةٍ على أمرها، وعلى أحزابٍ في المعارضة لا ترى أي مانع في التخلي عَن المبادئ التي ناضلت من أجلها، وتنجز كل يوم ما يظهر ولاءها لأنظمةٍ مُعاديةٍ لمبدأ تداول السلطة وأخلاق المحاسبة والقانون.

استحضرت هذه المعطيات المليئة بصور العجز والخوف، وأنا مقبل على النوم بعد نهاية يوم حافل بالعمل. وما أن وضعت رأسي فوق الوسادة، حتى انخرطت في نوم عميق هرباً من ضجر وعياء، فوجدت نفسي في حوار مع أحد أصدقائي، من دون أن أنتبه إلى الطابع الغريب الذي سار عليه الحوار. لم يتوقف أي منا عن متابعة الآخر بالهدوء الذي تعوّدنا عليه، استمر صديقي راوياً ومتحدّثاً بلغةٍ تحترم الاختلاف في الرأي، وتبحث عن السبل المساعدة في عمليات الإقناع .. كنا نتكلم لغة واضحة، وكان موضوع الجدل بيننا يتناول قضايا معروفة ومُتداولَة في المشهد الإعلامي العربي، وفي وسائط التواصل الأخرى، تشخيصاً ونقداً، رفضاً وقبولاً.. كنا نقف ونحن نتبادل الرأي على مسافة بعيدة من بعضنا، كما كنا نحمل كمامات تظهر عيوننا، وتبدو فيها حركة أصواتنا وقد صدرت مصفاة بفعل الكمامة التي تغطي النصف الأسفل من وجوهنا. لا أحد يشكّ في علاقة الأقنعة التي كنا نحمل، تنفيذاً للتعليمات القاضية بلزوم مواصلة الاحتراز من وباء كورونا، بالحوار الغريب الذي نَنْسُجُ بيننا، ونحن نفكر بصوت مرتفع في موضوعات تملأ اليوم حياتنا، ذات صِلَة مباشرة بحاضرنا ومستقبلنا.

يخاطبني صديقي قائلاً: ما رأيك في الميثاق الجديد لجامعة الدول العربية؟ تعلو الدهشة محياي، فيتابع قائلاً إن البيان الختامي لمؤتمرها، المنعقد قبل أيام في صنعاء، يبرز ملامح الأفق السياسي الجديد الذي اختارته، فقلت له، كيف لم أسمع بهذا، وكيف تقوم الجامعة بكل هذا وأخبارها بلا فعل ولا صدى يُذكر منذ عقود، فكيف تحدّثني اليوم عن مؤتمرها وميثاقها الجديد في اليمن السعيد؟.. هل وقع تحوُّل سريع ومفاجئ في المشهد السياسي العربي، أم أنك كعهدي بك ما تزال رجلاً حالماً؟ فقال لي: استيقظ من غفلتك ونومك العميق، يا صديقي المهتم بالشأن العربي والثورات العربية، فقد كانت القمة في اليمن عنواناً لأفق جديد لاحت تباشيره منذ أيام في الحاضر العربي، حيث تمت العناية بجدول أعمال المؤتمر الاستثنائي الذي أحدّثك عنه، بهدف إعادة تأسيس منظمة جامعة الدول العربية بصورة جديدة. أصبحت المنظمة اليوم جامعة لمنظمات التعاون الإقليمية العربية .. التحقت الدول العربية بالتنظيمات الإقليمية لضمان تمثيلية الجميع، تعلّم العرب من شيخوخة جامعتهم وعطالتها ما يسعفهم بإعادة بنائها، تخلّصوا من تاريخها البعيد والقريب، كما تخلصوا من كثير من أوجُه تأخرهم التاريخي، وانخرطوا اليوم في عالم جديد.

كان يبدو في كلام صديقي كثير من الحماس والجدّية، فسألته: وكيف حصل الاجتماع بين الحكام العرب، في وقت ما تزال فيه تداعيات الربيع العربي في سورية وليبيا واليمن على حالها، بعد أن حوّلتها الثورات والثورات المضادة إلى معسكراتٍ دائمة، لتجريب آليات جديدة في الاستقطاب السياسي، وفي الحروب التي لا تتوقّف إلاّ لتستأنف، انخرطت القِوَى الدولية والإقليمية في إقامة معسكراتٍ في الجغرافيا العربية؟ وما هو موقف المؤتمر من المطبعين الجدد؟ وما هي أحوال مشروع التحرّر الوطني الفلسطيني؟ هل تداول القادة العرب في هذا كله؟ وكيف تَمَّ تدارُك كل هذه المعطيات التي حولت

> تحوَّل العرب، حكاماً ونخباً، إلى دراويش، تَقَلَّصَت قدراتهم في الفهم والعمل، وضَمُرَت أجنحتهم وجفّت ينابيع الخيال

العرب في السنوات الأخيرة إلى كائناتٍ لا ترى ولا تسمع؟ كيف انقلبوا على أحوالهم وانخرطوا في طريق بناء بدائل لها؟ إنك تتحدّث عن المستحيل .. بدأ صديقي يبتسم، وواصل حديثه عن نتائج مؤتمر القمة الذي انعقد أخيرا: لقد فوجئت قبلك بكل ما حدّثتك عنه، إلا أنني تذكّرت أن بعض مفاصل التاريخ تكون مُعقَّدة، ويصعب فهمها بمنطق السببية البسيط والمباشر، وهي مثل الثورات والانقلابات والأحداث الكبرى في التاريخ، تحدث وتتحول بحسابات مُعقَّدة ..

لم أستطع مواصلة الاستماع إلى أحاديثه عما ورد في الفقرات الأخيرة في البيان الختامي، الصادر عن القمة في موضوع إلغاء معاهدات التطبيع التي شملت، في الأشهر الأخيرة، بلدانا عربية عديدة، فقد تَمَّ توقيف العمل بكل بنود هذه المعاهدات، ولم ينته الأمر عند هذا الحد، بل تَمَّ تعطيل معاهدات التطبيع القديمة بين كل من مصر والأردن، وإعلان وقف التعامل السري القائم بين إسرائيل وبلدان عربية كثيرة.

شعرت بعياء، بدأت أبتسم وأشعر بتثاقل كبير في جسدي، فتابع كلامه مبتسماً، ثم قال: أنتهى مسلسل الفوضى العربية، ورُفعت شعارات تحرير فلسطين أولاً.. ونحن اليوم على أبواب عهد جديد.

(كاتب مغربي)

عن «الكبسولة» ملاذاً آمناً

حلمي الأسمر

1

كلما اشتدت أحداث العالم سخونة، وتلاطمت أمواج الأخبار شرقا وغربا، شعر المتابع بحاجة ماسّة لهدنة اختيارية، يرتاح فيها من عناء اللهاث وراء الحدث، خصوصا في عالم صغير لا يختفي فيه شيء، وتتبرّع وسائل التواصل الحديثة بنقلك فورا إلى مكان الحدث، كأنك شاهد عيان، مع ما يرافق هذا من تفاعل ومعاناة وتعب. ويبدو أن الحاجة لتلك الهدنة ازدادت مع تفاعلات الجائحة اللعينة التي ضربت الكوكب، حيث يتعيّن عليك، بين حين وآخر، أن تأوي إليك فرارا من عدوى، أو امتثالا لحظر.

2

يتحكّم بمصير العالم أقل من واحد بالمائة من سكانه، وواحد بالمائة من هذه النسبة الضئيلة هي ما تقرّر مصير البقية، إن تعذر عليك أن تكون من أيٍّ من هذه الفئات، فلن يتعذر عليك أن تكون أنت من يحكم نفسك، ومن يقرّر مصيرك.

قد تحاول أن تغير بكل ما أوتيت من قوة من الواقع الذي تعيشه، وقد تفشل، فعملية التغيير جهد جماعي، وهي مسيرة معقدة جدا؛ لأنها متعلقة بآخرين، لكنك ستنجح بالتأكيد حينما يتعلق الأمر بتغيير واقعك الشخصي، وبناء «كبسولتك» الخاصة التي تأوي إليها كلما اختنقت من الخارج. فلسفة «الكبسولة» ببساطة ليست انكفاء على الذات، بل هي بناء ملاذ آمن، أو منطقة محرّرة لك وحدك، لا يدخلها غيرك، أو من تأذن لهم، وتستأنس بوجودهم، في ظل ظروفٍ سياسيةٍ عربيةٍ وعالمية بالغة التعقيد، وعصر انهيار شبه كامل لكل شيء، من المشروع أن تفكر بخلاص ذاتي، وعلى نطاق محدود جدا، تحدّه قدرتك على اتخاذ القرار. يقال هنا إنك حينما تشارف على الوصول إلى حافة اليأس مما يحيط بك، تبدأ بالاهتمام بحديقة منزلك. التعبير يختزل الكثير من فلسفة الكبسولة، هو ليس هروبا من المسؤولية ومكابدة الناس، بل انسحاب تكتيكي إلى الداخل، كلما شعرت أنك بحاجة لاستراحة محارب، لتواصل بعد هذه الاستراحة المكابدة والمجاهدة والمناجزة.

3

يقول الكاتب عامر الحافي، إن الخلوة (أو الكبسولة) سُنّة الأنبياء عليهم السلام، وكثير من الفلاسفة والصوفية والقدّيسين. والخلوة تَسبق الوحي والنبوة، ففي الخلوة تلقّى آدم من ربه كلمات، وفيها جَنّ على إبراهيم اللَّيلُ، ورأى ملكوت السموات والأرض، وفيها تلقّى موسى الألواح من الله، بعد أربعين ليلة قضاها في خلوته بعيدًا عن بني إسرائيل. وفي محراب بيت المقدس، كانت مريم، عليها السلام، تعيش أجمل أيام خلوتها: «كلَّما دخل عليها زكريَّا المحرابَ وَجَدَ عندها رزقًا قال يا مريمُ أنّى لكِ هذا قالت هو من عند اللَّهِ إنَّ اللَّهَ يَرزُقُ من يشاءُ بغيْرِ حِسَابٍ» [آل عمران: 37]. ويحدِّثنا الإنجيل بخَلْوة المسيح عليه السلام، عندما كان يذهب إلى الصلاة في الصباح الباكر: «وفي الصُّبح باكرًا جدًّا قام وخرَج ومضَى إلى مَوضِعٍ خَلاءٍ، وكان يُصَلِّي هناك» (مرقس 1: 35). وكان المسيح يدعو تلاميذه إلى الخلوة بقوله: «تَعالَوا أنتم إلى مَكانٍ قَفرٍ تعتزِلونَ فيه، واستَريحوا قَليلًا» (مرقس 6: 31). وفي الخلوة، تلقّى أيضًا المصطفى كلمات الوحي الأولى في غارِ حِراء، بعد أن «حبِّبَ إليهِ الخلاءُ وكانَ يَخلُو بغارِ حرَاءٍ، فيتحنَّثُ فيهِ وهو التَّعبُّدُ اللَّياليَ ذواتِ العددِ قبلَ أن ينزعَ إلى أهلِهِ ويتزوَّدُ لذلكَ، ثمَّ يرجعُ إلى خديجةَ فيتزوَّدُ لمثلِها حتَّى جاءهُ الحَقُّ وهُوَ فِي غارِ حِرَاءٍ..» (البخاري)

> فلسفة «الكبسولة» ببساطة ليست انكفاءً على الذات، بل هي بناء ملاذ آمن، أو منطقة محرّرة لك وحدك

4

سأعترف، حينما أبدأ بالكتابة، أستحضر من أحب، وأتجاذب أطراف الصمت معه أو معها. أشعر أنني أصنع «كبسولة» معزولة، مليئة بالهواء البكر الذي لم يتنفسه أحد بعد.

اللُّغَةُ كبسولة هواء نَقِيّ ألوذ بِهَا؛ لأتنفسك. بين شهيق وزفير، أكاد أختنقَ بهما، أحاول أنْ أصنع «كبسولة» هواء نقي؛ لأتنفس بحرية، وفرح، أنجح حينًا، وأخفق، في أحيان كثيرة، لكنني لا أستسلم. أستخلص من وسط الركام، ورائحة البارود، وضباب الكراهية، مساحة صغيرة؛ لأصنع كبسولةً وأملؤها بأنفاس من أفتقد ومن أحب، أضعها على فمي كجهاز التنفس، كلما شارفت على الاختناق.

5

يحسب بعضهم أنَّ الخلود إلى النفس، ومسامرة العزلة ضربًا من النكد والكآبة، هؤلاء غير متصالحين مع أنفسهم إلى درجة الانفراد بها. في الخلوة فوائد جمة، ولا يمكن أنْ تعرف نفسك على نحو جيد، إذا لم تتح لك الفرصة لأنْ تخلو بنفسك ساعات قليلة، ولو كل أسبوع أو حتى شهر، ففي الخلوة محاولة لاصطياد لحظة «راحة بال».

(كاتب من الأردن)

دول الخليج والتغيُّر المناخي... أوان البدائل

مالك ونوس

مرة أخرى، يجري تحذير الدول النفطية، في الخليج العربي، من المخاطر التي ستواجهها جرّاء التغيُّر المناخي، وتوجُّه دول العالم إلى التقليل من الاعتماد على الوقود الأحفوري في العقود المقبلة. وتتداول وسائل الإعلام تقريراً صدر قبل أشهر يُحذّر من أن الاستمرار في النمط الرأسمالي الحالي للإنتاج والاستهلاك الذي يستنزف موارد الكرة الأرضية، سيجعل البشرية تواجه خطر الزوال بحلول سنة 2050. وتزامن تداول هذا التقرير مع تقرير آخر صدر بعده، يحذّر الدول المنتجة للنفط، ومنها دول الخليج، من أنها ستخسر 40% من وارداتها مع اتجاه دول العالم نحو الاعتماد المتزايد على الطاقات المتجدّدة في اقتصاداتها. لذلك فإن البحث عن موارد أخرى وتنويع مصادر الدخل وتغيير نمط الاستهلاك الحالي، علاوة على اعتماد التنمية المستدامة، قد يساهم في إنقاذ بيئة هذه الدول من التغيرات التي تنتظرها، بالإضافة إلى دوره في إنقاذ اقتصاداتها من الانهيار.

وليست هذه هي المرة الأولى التي يجري فيها تحذير دول الخليج العربي من الآثار المدمرة للتغيُّر المناخي الذي يتوقع حدوثه في السنوات والعقود المقبلة، والذي ظهرت ملامحه في بعض مظاهر تطرّف المناخ فيها، فما شهدته من ازدياد مضطرد في درجات الحرارة، ومن تساقط ثلوج، ومن العواصف التي صحبها تساقط حبات البَرَد الكبيرة، أو عواصف مطرية شديدة، جرفت التربة، وسبّبت أضراراً بالغة للمباني والسيارات وغيرها، ليس سوى دليل أوليّ على هذا التطرّف. وقبل التحذير الجديد، دفع الاحتباس الحراري الكبير الذي شهدته منطقتا الخليج وجنوب شرق آسيا العلماء والدارسين إلى الاستنتاج، قبل سنوات، بأن الخطر الذي يُحدق بمنطقة الخليج سيظهر جلياً خلال فترة السبعين سنة المقبلة، ويتمثل بارتفاع درجة حرارة الهواء الرطب. وسيكون هذا الارتفاع من القساوة بحيث لن يتمكّن الجسد البشري والنباتات من التكيّف معه، ما يفقد الكائنات الحية كميات ضخمة من المياه، فيجعلها عرضةً للموت السريع. والدراسة التي تحدثت عن هذا الأمر قبل ثلاث سنوات وضعت دول الخليج العربي أمام خيارين؛ إما مواجهة التغيُّر المناخي بالعمل على الحد من الانبعاثات بتقليل استهلاك الطاقة واعتماد مصادر طاقة نظيفة بدل الأحفورية، واعتماد سياسة التنمية المستدامة، إضافة إلى استغلال الثروة المتوفرة لديها في زيادة مساحات الغطاء النباتي في المنطقة لتعديل بيئتها، أو الرحيل عن المنطقة لأنها ستصبح غير قابلة للعيش فيها.

غير أن التقرير الجديد الذي أصدره مركز الأبحاث، كاربون تراكر، في فبراير/ شباط الحالي، يختلف عما سبقه من تقارير، إلى درجة أن القائمين عليه وصفوه بأنه يعدُّ بمثابة إنذار لدول الخليج، ولغيرها من الدول المنتجة للنفط، والتي وضعت ميزانياتها وخططها استناداً إلى افتراض ارتفاع الطلب على النفط حتى سنة 2040، وهو ارتفاع ينفيه المركز مع ظهور الخطط الواعدة لمشاريع الطاقة البديلة المتجددة العملاقة لدى دول كثيرة. ولا تتوقف الأخطار عند قلة المردود من مبيعات النفط، بل ستتعدّاها إلى التداعيات الناجمة عن ضعف الطلب، وهو الأزمات المعيشية التي ستؤدي إلى اضطراباتٍ اجتماعيةٍ وسياسيةٍ وأمنية، ما لم تستثمر الدول المنتجة للنفط في الحد من العوامل المؤدّية إلى التغيُّر المناخي وفي التنمية البشرية، حسبما نصح رئيس قسم المناخ والطاقة والصناعة في المركز.

وبالعودة إلى التقرير الذي جاء تحت عنوان «الرأسمالية ستدمر الكوكب بحلول 2050»، https://www.vice.com/en/article/)-v7m48d/capitalism-will-ruin-the-earth-by-scientists-say?utm_campaign=later--2050-linkinbio-vice&utm_content=later utm_medium=social&utm_&11176543 source=instagram

والذي يعد تلخيصاً لدراسة أجراها برنامج هورايزون 2020، وهو برنامج الأبحاث والابتكار التابع للاتحاد الأوروبي، والتي نشرتها «مجلة مراجعات استراتيجية الطاقة»، في نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي، تحت عنوان «قيود إزالة الكربون من وسائل النقل في ظل نموذج النمو الحالي»، https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S2211467X20300961

نرى أنه يلقي المسؤولية عن الكوارث البيئية على النظام الرأسمالي ونمط الإنتاج والاستهلاك الذي نشره بين البشر واستنزف موارد الكوكب، وسيبقى يفعل ذلك حتى تنضب هذه الموارد، من دون التفكير بالعواقب الكارثية لهذا النمط. فمن ناحية تأثير التصرّفات الفردية التي كرّسها هذا النمط على التغيُّر المناخي، تنتشر في الغرب الدعوات إلى التوقف عن استخدام سيارات الدفع الرباعي الكبيرة. وبات ينظر إلى مقتني هذه السيارات من العامة بأنهم مسرفون، ولا يتحلّون بالمسؤولية تجاه ما يجري للكوكب، بسبب استهلاكها كميات كبيرة من الوقود، وتسببها في انبعاث كميات كبيرة من الغازات، لا تسبّبها السيارات الأصغر. كذلك الأمر بالنسبة للطبقات الثرية المترفة ولأولئك النجوم، سواء نجوم كرة القدم أو نجوم الأفلام السينمائية والمغنين وغيرهم، الذين يبنون قصوراً تستهلك مواد بناء كثيرة تستنزف الطبيعة، مع العلم أنهم لا يستخدمون سوى بعض الغرف منها. وفي حين استنتج العلماء الذين يرعى برنامج هورايزون 2020 عملهم، أن الرأسمالية كما نعرفها لا يمكنها دعم التحول نحو اعتماد الطاقة البديلة، كذلك ليست على استعدادٍ لتخفيض الإنتاج ومسايرة دعوات تخفيض الاستهلاك. ومن الأمثلة على هذا الأمر، برزت جريمة اقترفها النظام الرأسمالي في تدمير الغطاء النباتي من الأشجار المعمرة في غابات الأمازون، رئة الأرض، في البرازيل، في أغسطس/ آب 2019، على سبيل المثال. يومها رفضت حكومة الرئيس البرازيلي جايير بولسونارو اليمينية قبول المساعدات الدولية لإطفائها ووصفها بأنها تعدٍّ على سيادة بلاده.

> دول الخليج العربي والدول المنتجة للنفط، وبقية الدول الرأسمالية، لم تبدأ جدّياً في تغيير نظرتها إلى مخاطر التغيُّر المناخي

ما دامت دول الخليج العربي والدول المنتجة للنفط، وبقية الدول الرأسمالية، لم تبدأ جدّياً في تغيير نظرتها إلى مخاطر التغيُّر المناخي، وتصديق أن له آثارا مدمرة على الحياة على الكوكب، ستبقى التحذيرات تصدر عن مراكز الأبحاث، وربما ستفاجئنا يوماً ما بالإنذار النهائي، إذا لم ترتدع هذه الدول وتبدأ بالتفكير المغاير. ومع ذلك، يمكن لدول الخليج أن تكون رائدةً في مجال إنتاج الطاقة البديلة وتصديرها على مستوى العالم، خصوصاً الطاقة الشمسية، بالطريقة التي كانت فيها رائدة في مجال طاقة الوقود الأحفوري، بسبب توفر أشعة الشمس فوق أراضيها طيلة أيام السنة. كما أن الثروة التي تتمتع بها، توفر لها القدرة على إنشاء مشاريع جبارة في مجال الطاقة الشمسية، وهو ما لا يتوفر لدول أخرى كثيرة.

(كاتب سوري في روما)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

نائب رئيس التحرير **حسام كنفاني** ■ مدير التحرير **ارنست خوري**
■ المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **ليال حداد** ■ الرأي **معن البياري** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FY
Tel: 00442071480366
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ الدفنة ـ برج الفردان ـ الطابق العاشر ـ
هاتف: 0097440190600
■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads